

منازل الأمازيغ تعكس مفهوم الشرف

المعمار ليس مجرد بناء إنه رؤية فلسفية وجمالية



العمارة لها علاقة بتكوين الذوات (لوحة للفنانة ريم ياسوف)

وهكذا ندرك أن بنية الفضاء ليست مجرد تشكيلات خارجية وداخلية محايدة أو مجرد تزيين جمالي، بل إنها بنية ذات صلة عضوية بإنتاج الراسمالات الثقافية، وبتركيب الليات تثبت قيم الشرف حسب وجهة نظر بورديو. على هذا الأساس فإنه يمكن لنا أن نفهم أن الفضاء المعماري له دور حاسم في إنتاج المعنى والقيم والهوية الفردية والاجتماعية وكذلك هذا النمط أو ذاك النمط من العلاقة بين الناس.

وشخصية المجتمع الأمازيغي في منطقة القبائل. ففي دراساته هذه وغيرها أبرز بورديو أن قواعد تصميم المنزل الأمازيغي بمنطقة القبائل، الذي كان يراعى فيه بالضرورة تخصيص أماكن جلوس معينة للذكور وأخرى للإناث، وباب خاص للضيف الذكر، تعتبر بحق جزءاً من القواعد التي ينظر إليها المجتمع التقليدي أنها تصون الشرف وتنتج معنى ذلك الشرف في أن واحد.

السياق وجدنا بورديو يرصد العلاقة المتبادلة بين معمار المنزل الأمازيغي وبين خصوصية مفهوم قيم الشرف عند الإنسان الجزائري الأمازيغي (البربري).

وفي هذا الخصوص بالضبط، نجده قد درس في مقاله المهم ذي الشهرة العالمية في حقل الدراسات المعمارية والأثنية وهو "المنزل القبائلي أو العالم معكوساً" وفي كتابه "مختصر نظرية الممارسة"، الطقوس والأعراف والسلوك

النفسي البريطاني بالفضاء الممكن الذي يوفر البيئة التي يزدهر فيها مناخ الإبداع.

لا شك أن تدخل التحليل النفسي لسبر ما يترتب عن المكان العازل والمعزول وعن كدمات المنفى والمعتقات، وعن مواقع التهميش الاجتماعي، مثلما هو الأمر في نموذج ضواحي باريس التي يحشر فيها المهاجرون، قد ساعد ولا يزال يساعد على علاج الرجعات المختلفة التي تنشأ وتحطم بنية الشخصية وتشوه كيانها وتحرف سلوكها كما قدم وجهات نظر إيجابية بموجبها يمكن تعميم الحريات والعدالة والمساواة وبناء الثقافة الديمقراطية على أسس صحيحة.

مسرح الذكورة

لكي نتأكد من أهمية دراسة الفضاء كمكون للسلوك والقيم الذاتية الفردية وللشخصية الاجتماعية في تجارب أخرى فإنه ينبغي علينا أن نتأمل بسرعة جزءاً صغيراً من عتبات التجربة التي تميزت بالإنجاز الفكري الذي وظف مخطط الفضاء الجغرافي في عمليات اختراع قالب توضع فيه شخصية الفرد وشخصية المجتمع لضمان فهمهما أولاً، ومن ثم التعامل معهما ثانياً، على نحو ينتج علاقات الهيمنة لصالح المستعمر كما حدث، مثلاً، في التجربة الكولونيالية الفرنسية بالجزائر.

في السنوات التي مهدت فيها فرنسا لاحتلال الجزائر قامت بتفعيل عدة مراكز بحث وكتفت نشاطها البحثي في مجال دراسة الجغرافيا الجزائرية وخصائص وهو العامل الذي حفز أيضاً شخصية فكرية محورية في تاريخ فرنسا الثقافي المعاصر وهو فرنان بروديل الذي قام بعمل فكري جليل في كتابه الموسوعي "هوية فرنسا" الذي ما فتئ يؤثر بقوة في مسارات الدراسات الحضارية والثقافية التي ترصد بالتحليل النقدي الأثر المتبادل بين الفضاء الجغرافي من جهة وبين والتاريخ وتكوين الشخصية الوطنية من جهة أخرى.

في الحقيقة إن الجامعات الأوروبية/ الغربية لم تتبق دور في أفق علم الاجتماع الكلاسيكي بل طورت دراسات العلاقة السلبية والإيجابية بين المكان وبين التاريخ الفردي والاجتماعي والسياسي حيث تمكنت، خاصة، منذ النصف الثاني من القرن العشرين، من إضافة بعد أساسي ومهم جداً آخر وهو التحليل النفسي من أجل سير، ما يدعو الطبيب النفسي كوزيمو شينايبا "كيف يقو ويؤيد التحليل النفسي والمعمار حفظ الاحتواء العقلي"، ويعني بذلك احتواء المشكلات النفسية تحديداً التي يعاني منها الإنسان أو يتسبب فيها انعدام ما يدعو المحلل

لا شيء من حياة الإنسان يخرج عن دائرة الثقافة في مجالها الموسع: الأكل، المشرب، العلاقات، الطرقات، البناءات والمدن، كلها تنبع من ثقافة الشعوب التي تنشئها، هي ثقافة يتداخل فيها الديني والأخلاقي مع العادات المتوارثة منذ القديم، وهكذا، فمثلاً إن البيوت ليست منشآت تنشأ الجمال فحسب، بل هي أيضاً ثقافة متجذرة.

والصواب، وهلم جرا؟ ثم كيف يمكن للدارس أن يستخرج، مثلاً، العناصر المعمارية من فكر أفلاطون، وأرسطو، وجورج فيلهلم هيجل أو هنري لوفيفر أو جاك دريدا، أو فرانتز فانون، إلخ؟

في تلك اللحظات شعرت بالحسرة تجاهني جراء غياب مثل هذا التوجه النقدي الأكاديمي الرائع في مؤسساتنا التعليمية بمختلف مستوياتها وكذلك لدى المسؤولين على دور النشر الخاصة والعمومية في المنطقة المغربية أو في الشرق الأوسط. إنه بسبب إهمال تدريس المعمار وفق أحدث المناهج وأكثرها قدرة على الكشف عن تأثير الفضاء على بناء الشخصية الفردية والجماعية، وعلى تشكيل النفسية لدى الأجيال قد تحولت مدننا وقرانا وما يسمى بفضاءات المجال العمومي إلى مصادر تفرغ مختلف أشكال العنف المادي والرمزي والسلوك التخريبي ويؤس الكاتبة.

ولا شك أن الانتباه إلى الدور الحاسم الذي يلعبه المعمار وتصميم البيئة في التأسيس للهوية الحضارية، أو في هدمها هو الذي دفع، منذ ستمين طويلة، بمفكرين كبار من طراز غاستون باشلار إلى تطوير النقاش حول ما يسمى بفضاءات المجال في الشعر المعاصر من ذوي الاختصاص والشهرة الأكاديمية والعلمية والفنية بمهمة إنجاز تلك المؤلفات.

المعمار والفكر

لقد تبين لي أن تلك الكتب تتناول بالتحليل والعرض والنقد الجوانب المعمارية في أعمال فلاسفة ومفكرين ونقاد كبار أمثال دولوز، وغتاري، وهيدغر، وإريغري، وهمي بابا، ودريدا، وغدامير، وفوكو، وبيير بورديو، كما أدركت بعد قراءة نص بيان هذه السلسلة عن أهداف وبرنامج مشروع "مفكرون للمعماريين" أن اللجنة المشتركة عليها سوف تكتف عدداً كبيراً من أساتذة المعمار والتصميم لإنجاز كتب أخرى مبرمجة، وبذلك يسعون فضاء الدراسة ليشمل أبرز الفلاسفة والمفكرين والنقاد في الغرب قديماً وحديثاً وراهنياً.

في هذا السياق تساءلت مع نفسي "ما علاقة الفلاسفة ونقاد الثقافة والأدب الكبير بالمعمار سواء تعلق الأمر ببناء العمارات، أو البيوت المنفردة، أو المصلات، والمسابع والملاعب أو اتصل بتصميم الطائرات، والبواخر،

أزراح عمر
كاتب جزائري

وانا في الطابق الأرضي بمكتبة فويلز الشهيرة، الواقعة في قلب مدينة لندن، لغت انتباهي رفوف كثيرة منسقة تنسيقاً جيداً، قد خصصت للمؤلفات المكرسة للدراسات المعمارية النظرية والتطبيقية، وحينما قمت بمسح كامل لعناوين تلك الكتب توقفت عند سلسلة تديرها دار النشر الأكاديمية البريطانية الكبرى "روتليج"، وكانت هذه السلسلة تحمل عنوان "مفكرون للمعماريين".

بنية الفضاء ليست مجرد تشكيلات خارجية وداخلية محايدة بل هي بنية ذات صلة عضوية بإنتاج الراسمالات الثقافية

ثم لاحظت أنها تتميز بخاصيتين اثنتين وهما: أولاً، إسناد الإشراف عليها إلى نخبة من أساتذة متخصصين في تدريس ونقد المعمار والبحث في شؤونه المختلفة، وثانياً، تكليف مهندسي ونقاد المعمار من ذوي الاختصاص والشهرة الأكاديمية والعلمية والفنية بمهمة إنجاز تلك المؤلفات.

لقد تبين لي أن تلك الكتب تتناول بالتحليل والعرض والنقد الجوانب المعمارية في أعمال فلاسفة ومفكرين ونقاد كبار أمثال دولوز، وغتاري، وهيدغر، وإريغري، وهمي بابا، ودريدا، وغدامير، وفوكو، وبيير بورديو، كما أدركت بعد قراءة نص بيان هذه السلسلة عن أهداف وبرنامج مشروع "مفكرون للمعماريين" أن اللجنة المشتركة عليها سوف تكتف عدداً كبيراً من أساتذة المعمار والتصميم لإنجاز كتب أخرى مبرمجة، وبذلك يسعون فضاء الدراسة ليشمل أبرز الفلاسفة والمفكرين والنقاد في الغرب قديماً وحديثاً وراهنياً.

الكامبيرون ضيف معرض وجدة المغربي للكتاب

الجمهور المغربي، مضيافاً أن هذه الدورة ستعرف مشاركة العديد من الكتاب يمثلون جنسيات مختلفة. ومن جهة أخرى، أشار الرتاني إلى أن موضوع الشباب والطفولة سيكون أيضاً في قلب فعاليات المعرض، وذلك بفضل برمجة خاصة غنية وتشاكرية، ستشهد الانتباه وتقال الإعجاب، عن طريق تنظيم ورشات متنوغة للحوار والقراءة والموسيقى والرسم.

وتعرف نسخة السنة الحالية من المعرض المغربي للكتاب أيضاً برمجة 36 مادة مستديرة، فضلاً عن تنظيم 10 معارض للفنون التشكيلية تشمل أنشطة متعددة في مختلف أنحاء وقضاءات المدينة، منها جامعة محمد الأول، ومركز الأبحاث والبحوث الإنسانية والاجتماعية، والسجن المحلي وغيرها. وتجدر الإشارة إلى أن المعرض المغربي للكتاب "آداب مغاربية" تنظمه وكالة جهة الشرق بشراكة مع وزارة الثقافة والاتصال، والوزارة المنتدبة لدى وزير الخارجية والتعاون الدولي، المكلفة بالمغاربة المقيمين بالخارج وشؤون الهجرة، وولاية جهة الشرق، ومجلس الجهة، ومجلس جماعة وجدة، والاتحاد المهني للناشرين بالمغرب.

والكتاب، وذلك بالنظر إلى الدور الأساسي الذي تلعبه حلقة العرض في سلسلة الكتاب، فدورها من جهة ترويجية يسمح للناشر بتقديم كتبه أمام الإعلام ونخبة الباحثين والقراء، ومن جهة ثانية لها دور تجاري يقدم للناشر فرصة للتعريف بإنشائه.

وأبرزت الدور التقني العام الذي تطلع به المعارض المتمثلة بالخصوص في إعادة الماكينة اللائقة للكتاب بين المواد التي يتجه نحوها الاستهلاك العام، لافتاً إلى أن المعارض تقدم للكتاب المغربي فرصة للظهور والانتشار، وهو ما يساهم في دعم القيمة الاعتبارية للكتاب المغربي والثقافة المغربية.

من جهته قال عبدالقادر الرتاني، رئيس الاتحاد المهني للناشرين بالمغرب، إن المعرض المغربي للكتاب "آداب مغاربية" سيظل وقتاً لتوجهه تجاه أفريقيا من خلال استقبال الدورة الثالثة للكامبيرون كضيف شرف، بعد استضافة كل من السنغال في النسخة الأولى، والكوت ديفوار خلال الدورة الثانية، وأضاف أن النسخة الثالثة، التي ستعطي الإشارة لانطلاقها خلال أيام تشكل مناسبة مواتية للتعريف بالأدب والكتابة الكاميرونية بالنسبة إلى

يؤدبه، وكذا بالصورة التي يقدمها عن الفاعل الثقافي الجهوي.

وأكد أن تنظيم هذا المعرض يكتسي أهمية بالغة في مجال صناعة النشر



المعرض المغربي للكتاب وفي لانفتاحه على أفريقيا من خلال استقبال الدورة الثالثة للكامبيرون كضيف شرف

وصنّاع القرار للتعبير عن المطوح في تحقيق انتقال واع من أجل عالم أفضل. وفي هذا السياق اعتبر رئيس المعرض محمد امباركي، أن هذا المعرض يعد مشروعاً تنموياً، لتطوير القطاع الثقافي الذي يهيم جميع فئات المجتمع، ملقفاً إلى أن هذا التوجه يستأثر باهتمام

أوساط الشباب والكبار على حد سواء. وبعد أن أشار إلى الأهمية التي يكتسبها شعار هذه الدورة "الإيصال من جيل إلى جيل"، قال إن الكتاب يعد دون شك، الأداة المثلى لإيصال التراث والقيم ومختلف الممارسات، وهذا "ما يمكننا من إيصال مثلنا العليا وفتاعتنا للأجيال المستقبلية".

وواصل أنه، نظراً إلى الاهتمام الكبير بهذه العملية، فإن معرض "آداب مغاربية" ومختلف شركائه، ياملون أن ينصب النقاش حول هذه الأسئلة، وبالخصوص حول كيفية الحفاظ على التراث وتطوره في الوقت ذاته، ثم تكيفه مع إكراهات وضغوطات العصر حضاراً ومستقبلاً.

ومن جهة أخرى نوه عفيفي عبدالإله، الكاتب العام لوزارة الثقافة والاتصال، بالنجاح الذي حققته هذا المعرض في كل دورة جديدة وبالذات الدور الثقافي الذي

تحتضن مدينة وجدة، خلال شهر أكتوبر الجاري، فعاليات الدورة الثالثة للمعرض المغربي للكتاب "آداب مغاربية"، حيث أثبت هذا المعرض في دورته السابقتين نجاحه في استقطاب أبرز الكتاب والمبدعين والفاعلين الثقافيين من غير المكنسين لنقاش قضايا الفكر والإبداع الراهنة بأساليب غير تقليدية.

وجدة (المغرب) - تحتضن مدينة وجدة في الفترة الممتدة ما بين 9 و13 أكتوبر الجاري فعاليات الدورة الثالثة للمعرض المغربي للكتاب "آداب مغاربية"، التي تستقبل الكامبيرون كضيف شرف.

وأوضح منظمو هذا المعرض، خلال ندوة صحافية عقدت أخيراً بالدار البيضاء لتسليط الضوء على هذه التظاهرة الثقافية، أن هذا الحدث الثقافي يعد فضاء للتقارب "حيث يلتقي العقل والقلب المغاربيين، والروح والعبقرية الأفريقية"، وحيث يمكن الكشف عن الصداقة والخيارات المشتركة من أجل مستقبل يسوده السلام والأخوة التي يجب إيصالها للأجيال القادمة.

يأتي المعرض المغربي للكتاب، الذي تنظمه وكالة جهة الشرق، تحت شعار "الإيصال.. من جيل إلى جيل"، حيث يعرف مشاركة أزيد من 160 كاتباً و30